اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل فيهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب
دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل
الكتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم
فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن
ابي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم
واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية
ان الانبياء كانوا ياخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام
من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ اخذ الله ميثاق
النبيين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن
به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف
فكان معنى الآية واذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق
لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم
وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله
مطابقة لما في كتبهم المنزلة عليهم صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله
واللام في قوله لتؤمنن به لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز
وجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق
في امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري الآية وقال الامام فخر الدين
الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على صدقه فاذا
اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل
في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال أأقررتم يعني قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا اخذ
الميثاق كان نحو النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرة له وان
فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف
اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى
نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده على
الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي واصل العهد
الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا اي قال النبيون
اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك قال فاشهدوا
يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين
اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه
فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان وانا معكم من الشاهدين يعني قال الله يا معشر الانبياء

وانا

وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم فمن تولى اي اعرض عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان والطاعة قوله عز وجل
افغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم الهمزة للاستفهام
والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم
هو دين الله الاسلام تبغون قرأ بالتاء على خطاب الحاضر افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرأ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد
من في السموات والارض طوعا وكرها فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من
النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا
وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا يوم اخذ
الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة
قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت
في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيمة وقيل [illegible] من الخلق الى الامتناع على الله في مراده
فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه
ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه واليه ترجعون قرأ بالتاء والياء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله
يوم القيمة فيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله عز وجل قل آمنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الآية
المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي ياتي مصدقا لما معهم قال تعالى
قل آمنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا لانه لما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل
هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا تنبيها على انه حين
قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه
ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما انزل علينا
يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف
الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجو دهم
ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء
فقال والنبيون اي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض
النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن
امته ان يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدى انزل في هذه الآية بحرف
الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين
وتارة بالمعنى الآخر ونحن له مسلمون اي موحدون مخلصون انفسنا لله لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز
وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه
غير مقبول منه لان الدين الصحيح ما يامر به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الآخرة من الخاسرين
يعني الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)